**العزل الاجتماعي والضبط الاجتماعي:**

**يستخدم المجتمع العزل الاجتماعي Isolation Social كأسلوب ضبط ضد الخارجين على ضوابطه، أو كعقوبة رادعة أو وسيلة للتخلص من خطر هؤلاء بصورة مؤقتة أو دائمة. لكن الوضع الاجتماعي أحياناً يخلق ظروفاً لما يسمّى بالانعزال أو الاغتراب Alienation كما يرى ذلك "ماركس" K.Marx وهو حالة مَرَضية يصاب بها المجتمع نتيجة لضغوط نظامه الاجتماعي على أعضائه لدرجة تجعلهم مغتربين أو منعزلين عنه، أو يخلق الوضع الاجتماعي حالة تدعى ضياع المعاييرAnomie كما يرى ذلك "ميرتون"R.Merton و"دوركهايم"E.Durkheim وهي الحالة المَرَضية التي يصاب بها المجتمع لفقدان تأثير نظامه الثقافي على تفاعل الأعضاء وسلوكهم وتوقعاتهم نحو بعضهم.(90)**

**ويمكن تقسيم العزل الاجتماعي إلى الأنواع التالية:-(91)**

**1- العزل الجزئي والعزل الدائم:**

**ومثال ذلك عزل الفرد عن جماعة العمل أو المدرسة ( جزئي) أو عزل الفرد عن طريق السجن أو المقاطعة أو إصدار عقوبة الموت ( دائم).**

**2- العزل الخلقي والعزل الطبيعي:**

**ويحدث العزل الخلقي حينما يخالف بعض الأفراد القواعد الاجتماعية أو القوانين أو التعاليم الدينية، وهنا يتّخذ المجتمع موقفاً ضدهم مثل المقاطعة أو السجن وغير ذلك من العقوبات. في حين ينشأ العزل الطبيعي بسبب الأمراض والعاهات التي يصاب بها بعض الأفراد، إذ يتجنبهم الناس، وقد تلجأ بعض المجتمعات الصغيرة إلى هجر أماكن سكناها تاركة أولئك المصابين بأمراض معدية، ويتم وضعهم في مصحات خاصة.**

**وهناك أنواع أخرى من العزل، فالمصابون بالعاهات البدنية تقل فرص اتصالهم بالناس، إذ إن الناس قليلاً ما يعمدون إلى الاجتماع بهم بنفس القدر الذي يجتمعون به ببعضهم. وقد يؤدي تفوق بعض الأفراد في قواهم البدنية إلى اعتزال الناس عنهم لأنهم يجدونهم أفراداً غير ملائمين مثل بقية الأفراد الذين يقاربونهم بالقوة البدنية. وأحياناً يكون التفوق العقلي سبباً في خلق مواقف الحسد والعداء تجاه المتفوقين.**

**العصر الحديث والعزل الاجتماعي:**

**يرى "دوركهايم" E.Durkheim أن المشكلة المركزية في المجتمعات الحديثة هي صلات الأفراد بجماعاتهم، وذلك لأن هذه الصلات تغيّرت إلى درجة كبيرة نتيجة اندفاع الأفراد إلى الاهتمام بأنفسهم وعدم تسليمهم بصورة عمياء بجميع الالتزامات والقيود الاجتماعية، حيث تعاظم الاهتمام بالفرديةIndividualism . ومع أن الفردية شيء مرغوب فيه إلاّ أنها محفوفة ببعض المخاطر على حياة الجماعة وفق رأي "دوركهايم". وقد يتوقع الفرد بسببها من المجتمع أكثر ممّا يستطيع الأخير تقديمه له. لذا لابد من ممارسة الضبط على الأفراد وهو بالضرورة ضبط اجتماعي.(92)**

**وفي نفس السياق جاءت آراء عالم النفس الأمريكي "إريك فروم"Erich Fromm "[[1]](#footnote-1)•" في معظم كتاباته لتؤكد على أن الإنسان الحالي يشعر بالوحدة والعزلة Isolation لأنه انفصل عن الطبيعة وعن بقية الناس، ففي كتابه الخوف من الحريةEscape from freedom يرى"فروم" Fromm أن الإنسان ينتابه شعور أكبر في الوحدة والعزلة كلّما اكتسب حرية أكبر، حتى أصبحت الحرية التي ناضل من أجلها ظرفاً سلبياً يحاول الهروب منه، لأن هذه الحرية أفقدته حاجة الانتماء إلى الجماعات الأولية وأولها الأسرة، وحاجة التقدير والحاجة إلى الهوية والإطار المرجعي وغيرها.(93) بمعنى آخر إن المجتمع الحديث ضخّم فردية الإنسان، فالإنسان يعيش في أزمة اجتماعية ونفسية وهو يحاول جاهداً معالجتها عن طريق الارتباط بالنوادي والجمعيات..الخ.**

**ويرى "فروم" أيضاً أن العلاقات الاجتماعية بين الناس أصبحت علاقات غير إنسانية بفعل الاستغلال الذي يشوبها، فصاحب العمل يستغل العامل والبائع يستغل المستهلك وهكذا دواليك، هذا الاستغلال الذي لم يُشعر الإنسان بغربته عن مجتمعه فحسب، بل وبغربته عن نفسه وأهدافه ومشاريعه ومعتقداته فأصبح لا يستطيع تسييرها بالوجهة التي يرغب ويريد، وإنما هي التي تسيّره نحو غاياتها، لذا فإن "فروم" يرى أن المجتمع الحديث إنما هو مجتمع مريض أدى إلى خلق الشخصية المريضة ولم يوفق في بناء الشخصية السليمة.(94)**

**إن المجتمع مطالب أن يتفهّم ظروف العصر الحديث وعمليات الاتصال Communication والاحتكاك الثقافي بين المجتمعات والعوامل التي تتحكّم فيه وذلك كي يُحققَ الضبط الاجتماعي الذي نوهنا إليه، بالإضافة لفهم واقعه ومقومات وجوده ومتطلبات الحياة الاجتماعية، وحاجات الأفراد ودرجة إشباعها المتوفر، ومدى انسجامها مع عمليات التنشئة والتربية والتثقيف، كي يتسنى له توفير المناخ المناسب لإعداد الأفراد وتدريبهم بما يساعد على إشباع حاجاتهم الاجتماعية الضرورية التي تدعم تكاملهم الاجتماعي والثقافي والشخصي حتى لا تتعثر عمليات تفاعل الأفراد وتضطرب عوامل تكيّفهم ويشعروا بالعزلة والاغتراب عن واقعهم.**

**وتأسيساً على ذلك يمكن القول إن لذات الفرد قطبان هما: الذات الاجتماعية والذات الفردية وهما يولدان معاً، وشخصية الفرد لا يمكن التعبير عنها في غير أعمال اجتماعية، وهذه الأعمال من حيث الواقع مظاهر تميّز الفرد عن غيره من الأفراد، وإذا أراد المجتمع ضبط سلوك أفراده عليه أن يجنبّهم ذلك الصراع الذي ينتج عند التأكيد على جانب محدّد من ذات الفرد دون غيره، أي عدم ربطه بالجماعات الأولية والعلاقات التقليدية إلى الدرجة التي تقيّد حريته والعكس صحيح أن لا يتم التأكيد على الحرية التي تؤدي إلى فقدان الانتماء إلى المجتمع وجماعاته وعلاقاته، وهكذا تلتقي الذات الاجتماعية للفرد بذاته الفردية.**

**الطبقة الوسطى والعزل الاجتماعي:**

**المجتمع كما يؤكد كلٌّ من "لبست وبندكز"Lipset & Bendix يكون على شكل هرم توزع عليه الأدوار الاجتماعية المختلفة حيث توضع الأدوار القيادية والعليا في قمته، وتوضع الأدوار المهنية والمتوسطة في منتصف أضلاعه، وتوضع الأدوار الخدمية والإنتاجية في قاعدته.(95) هذه الحقيقة الشاخصة التي ميّزت المجتمع البشري منذ أقدم العصور ومازالت تميّزه هي أساس النظام الطبقي في المجتمع المعاصر، وعلى هذا الأساس يميل علماء الاجتماع إلى تقسيم المجتمع وفقاً لهذه الحقيقة إلى ثلاث طبقات أساسية على شكل هرم تبدأ بقمته حيث توجد الطبقة العلياUpper Class ثم منتصف الهرم حيث توجد الطبقة الوسطىMiddle Class وتشكل الطبقة الدنياLower Class قاعدة الهرم، فالطبقة العليا تشكل أقلية قياساً بالطبقات الأخرى وتتميز بنوع من الاستقرارStability ذلك لأن أفرادها يجدون مراكزهم مهيأة في الطبقة عند الولادة، كما أنها تتميّز بحرصها للحفاظ على وضعها، والعلاقات بين أفرادها تمتاز بنوع من الاستقرار والثبات النسبي.**

**أمّا الطبقة الدنيا، فإنها تعاني من ضغط الصعوبات المعاشية، وبُعدها عن ما يجري حولها وإمكانياتها لا تساعد أفرادها إلى تبوء مناصب أو مراكز مهمة في المجتمع. في حين تشغل الطبقة الوسطى موقعاً وسطاً بين كبار الملاّك والذين لا يملكون ونعني بهما الطبقتين العليا والدنيا.**

**ويحدّد "موربرجر"Moroberger الطبقة الوسطى في جماعتين أساسيتين:-**

**الأولى: تشمل التجار وأصحاب المصانع الصغيرة ومن يعملون لحسابهم والذين لا يؤهلهم دخلهم ولا قوتهم لأن ينضموا لذوي النفوذ والجاه في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.**

**الثانية: وتشمل جماعات أخرى مختلفة تضم المهنيين كالأطباء والمحامين والمهندسين والمديرين والتقنيين، كما تضم المثقفين والفنانين والأدباء والكتّاب والمشتغلين بالبحث العلمي.(96)**

**ويرى "محمود عودة" أن الطبقة الوسطى تضم فئات متنوعة في ارتباطاتها الاقتصادية وانتماءاتها الاجتماعية وأصولها التاريخية. إنها تضم تشكيلة متنوعة من متوسطي الفلاحين والحرفيين من أصحاب الورش، ومتوسطي التجار والجانب الأعظم من موظفي الدولة مدنيين وعسكريين فيما عدا الصفوة البيروقراطية والسياسية والعسكرية صاحبة النفوذ الأعظم.(97)**

**ومن ملاحظتنا للتقسيم الطبقي أعلاه ندرك أن الطبقة العليا تتميّز بنوع من الاستقرار فهي لا تريد التغيير حفاظاً على مواقعها العليا، والطبقة الدنيا لا تدرك معنى التغيير بسبب انشغالها بهمومها ومشكلاتها اليومية. أمّا الطبقة الوسطى وبسبب تشكيلتها المتنوعة نجدها تميل إلى الحركة دائماً ولديها الرغبة في التغيير نتيجة لإقبالها على الفلسفات الجديدة وتيارات السلوك الجديد، ولديها القدرة على دفع أفرادها إلى الطبقة العليا، لكنّها لا تستطيع منع بعضهم من النزول إلى الطبقة الدنيا، وهذا يعني وجود تغيّر وعدم ثبات في مراكز أفرادها، وبسبب هذه الحركية وعدم الاستقرار والتغيّر في العلاقات وفي المراكز تعرَّض أفرادها لنوع من العزل الاجتماعي.**

**وهناك نوع من الانعزال الاجتماعي المخيّب للآمال في بعض المؤسسات الاجتماعية والجماعات ناتج عن التجارب الشخصية لبعض الأفراد ، فقد ينعزل الفرد عن إحدى المؤسسات كالمستشفى مثلاً أو عن جماعة دينية أو عن أسرته أو جماعة العمل أو الأصدقاء نتيجة لخبرات مريرة معهم.**

**إن الانعزال سواء كان ناتجاً عن ظروف المجتمع الحديث أو عن ظروف الطبقة الوسطى أو بسبب التجارب الشخصية المضنيّة فإنه يؤدي بالنتيجة إلى:-**

**\* الاضطراب الشخصي.**

**\* اعتداء المنعزلين على الضوابط الاجتماعية.**

**وبناء على ذلك نجد أن معظم المنعزلين مصابون بمرض فصام الشخصيةSchizophrenia ومن أهم أعراضه عدم القدرة على التعامل مع مشكلات الحياة المتعدّدة والمؤلمة نفسياً أحياناً، واللجوء إلى الانسحاب الفكري من المجتمع الذي يعيشون فيه، وهو انسحاب يكون من أعماق النفس بحيث يقود إلى فشل وانهيار كاملين في عمل الجانب العاقل أو الاجتماعي من النفس البشريةEgo وفقاً لأراء مدرسة التحليل النفسي، ويمكن تلخيص آراء هذه المدرسة في هذا الجانب كما يلي:-**

**إن الشخصية تتكون من ثلاثة أجزاء وهي الهوId والانا Ego والانا الأعلىSuper Ego، و" الهو" هو الجزء المسؤول عن النزعات والرغبات الغريزية والدوافع ويسعى وراء اللذة ولا يميّز بين الواقع والخيال، وهنالك من يسميه الجزء المتخلّف من الشخصية، ومن "الهو" تأتي "الانا" وتمثل مبدأ الواقع أو الوسيط أو الحكم أو الجانب الاجتماعي أو العاقل من الشخصية، فهذا الجانب يميّز الواقع عن الخيال ويكبح جماح "الهو". أمّا "الانا الأعلى" فهي الجزء الثالث من الشخصية، وهنالك من يطلق عليه اسم الضميرConscience، ووظيفته حث الجانب الاجتماعي من الشخصية للقيام بعمله ومساءلته في حالة تقصيره فيما يتعلق بمراقبة الأفكار والسلوكيات المنطلقة عن "الهو" وتنظيمها وموازنتها مع متطلبات البيئة الخارجية أو المجتمع. والخروج عن الضوابط الاجتماعية وفق آراء هذه المدرسة يحدث نتيجة لضعف "الانا" في مراقبة" الهو" وضعف الانا الأعلى" في مساءلة "الانا."(98)**

**من جهة أخرى، وجِد أن كثيراً من المنعزلين يلجأون إلى الإدمانAddiction على الكحول Alcoholism والمخدرات Drug وبعضهم يلجأ إلى الانتحارSuicide الذي يسمّى انتحار الوحدانية أو العزلة الاجتماعية Egoistic Suicide الذي يظهر نتيجة لانعزال الفرد عن المجتمع لسبب يتعلق بالفرد نفسه أو بالمجتمع الذي ينتمي إليه ويتفاعل معه.(99)**

**لاشك أن مثل هؤلاء الأفراد المصابين بالأمراض النفسية والمدمنين على الكحول والمخدرات والذين لديهم استعدادات انتحارية؛ هم خارجون على قوانين المجتمع، ومعتدون على ضوابطه الاجتماعية نتيجة لعزلهم أو انعزالهم الكلي عن المجتمع والذي يختلف عن العزل أو الانعزال الجزئي أو الهامشي أو الحدي كما يسميه البعض، وهو ينتج عن صراع الأدوارRoles Conflict أو صراع المسؤوليات Responsibly Conflict التي يقوم بها الفرد أو يتحملها، حيث لا يستطيع التوفيق بين أدواره لاسيما في المجتمع الحضري حيث تتعدّد وتتداخل مع بعضها، ما يسبب له بعض التضارب بين متطلباتها وحاجاتها عند ممارستها في آن واحد.(100)وفي حالات أخرى يكون صراع الأدوار ناجماً عن انتقال بعض الأفراد من ممارسة أدوار معيّنة إلى أدوار أخرى خلال حياتهم الاجتماعية، عندما لا يكون لديهم وقت كاف لاكتشاف جميع متطلبات الأدوار الجديدة التي يبدؤون ممارستها ويتوقعون ممارستها بصورة مرضية ومقبولة.(101)**

**وسواء كان الصراع ناجماً عن عدم التوفيق بين الأدوار أو عدم اكتشاف متطلبات الأدوار الجديدة؛ فإنه يؤدي إلى انعزال الشخص جزئياً عن أسرته أو أصدقائه أو عمله أو مدرسته ويخلق ما يسمّى بـ الشخصية الحديّة أو الهامشيةMarginal Personality .**

**ويشير " خالد الجابري" "[[2]](#footnote-2)\*" في محاضراته في الضبط الاجتماعي إلى نوع آخر من الشخصية الحديّة أو الهامشية هي الشخصية التي تعد جزءاً ممّا أسماه المقطع القلق في المجتمع، والذي يضم الأفراد الذين يختلفون في أفكارهم وسلوكهم عن أفكار وسلوكيات المجتمع، حيث يقول: "إن المجدّدين والثوريين بالرغم من أنهم أعضاء في المجتمع فإنهم يكوّنون قطاعاً اجتماعياً قلقاً إذ أنهم يضطرون وبسبب اختلاف مقاييسهم وأفكارهم عن مقاييس وأفكار مجتمعهم إلى أن ينعزلوا عنه. ولكن المجتمع ذاته يعمل على خلق فاصل فيما بينه وبينهم لغرابة أفكارهم وسلوكياتهم، وقد يصل عزلهم إلى درجة المحاربة والملاحقة والسجن وإصدار عقوبة الموت بحقهم. وهؤلاء الأشخاص وبسبب العزل الاجتماعي المفروض عليهم ينتمون إلى بعضهم مكوّنين جماعات خاصة مثل الأحزاب والحركات التي لها أساليبها في الضبط وتعمل على تغيير الوضع الاجتماعي وخلق مجتمع جديد له قواعد وضوابط جديدة.**

**لكن المقطع القلق لا يقتصر فقط على الفلاسفة والمصلحين والثوريين ودعاة التغيير، إذ أنه يحتوي كذلك على المجرمين والمنحرفين لأنهم يتعرضون للعزل الذي يفرضه عليهم المجتمع لاختلاف سلوكهم عن سلوكه، وبسبب هذه العزلة وبسبب تشابه أنماط سلوكهم فإنهم ينضمّون إلى بعضهم مكوّنين جماعات أو عصابات لها أساليبها في ضبط أعضائها، كما أنها من ناحية أخرى تعتدي على ضوابط المجتمع وقواعده. من هنا فإننا نجد نوعين من المقطع القلق هما:**

**\* المقطع الذي يتميز قلقه بالإيجابية والخلق، وهو قلِقٌ لأنه غير منسجم مع أسس الحياة الاجتماعية للمجتمع.**

**\* المقطع الذي يتميّز قلقه بالسلبية، وقلقه ناتج عن عدم قدرته على الانسجام مع أساليب الضبط الاجتماعي السائدة في المجتمع."**

1. "• " ولد أريك فروم "Erich Fromm" لعائلة يهودية تقليدية "Orthodox" في مدينة فرانكفورت الألمانية في عام 1900. التحق بجامعة فرانكفورت وهايدلبيرغ حيث درس فيها العلوم الاجتماعية والنفسية والفلسفية. وحاز من الأخيرة على درجة الدكتوراه، وكان موضوع أطروحته: "Jewish Law: A contribution to the sociology of Jewish Diaspora " "القانون اليهودي: مساهمة في علم اجتماع الشتات اليهودي" كما تلقى تدريباً عملياً مكثفاً في مجال علم النفس التحليلي في ميونخ وبرلين والولايات المتحدة الأمريكية. وإضافة إلى ممارسته التطبيقية للتحليل النفسي، عمل فروم محاضراً في نخبة من الجامعات الأمريكية الشهيرة. توفي في سويسرا عام (1980).

   [↑](#footnote-ref-1)
2. "\*" خالد فرج الجابري، انثر وبولوجي عراقي، حاصل على الدكتوراه من جامعة أكسفورد، عن دراسته الميدانية لمجتمع الإيزيدية في مدينة سنجار في شمال غرب العراق. عمل بين التدريس وإدارة قسم علم الاجتماع في جامعة بغداد لعدة سنوات في نهاية الثمانينات وبعض سنوات من عقد التسعينات. ساهم مع زملائه الانثروبولوجيين في القسم بإنشاء فرع "الانثروبولوجي" ضمن قسم علم الاجتماع في العام الدراسي 1988-1989، والذي استمر بتخريج إعداد من طلبة هذا التخصص حتى الغي في نهاية التسعينات من القرن العشرين. [↑](#footnote-ref-2)